التكامل المعرفي في آثار الشيخ رفاعة الطهطاوي

(١٨٠١-١٨٧٣م)

إعداد

أ. د/ صبري فوزي أبو حسين

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات، جامعة الأزهر.

١٤٤٤هـ . /٢٠٢٣م

التكامل المعرفي في آثار الشيخ رفاعة الطهطاوي(١٨٠١-١٨٧٣م)

أ.د/ صبري فوزي عبد الله أبو حسين.

ملخص البحث:

التكامل المعرفي في آثار الشيخ رفاعة الطهطاوي(١٨٠١-١٨٧٣م)

بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثاني لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، المعنون بـــ(التكامل المعرفي بين العلوم وأثره في التوازن الفكري والواقع المجتمعي)، والمقرر انعقاده يومي السبت، والأحد ٢٨-٢٩/ ١٠/ ٢٠٢٣م.

يتمتع الشيخ رفاعة الطهطاوي بمكانة كبيرة في الإرث الثقافي المصري والعربي الحديث باعتباره الرائد في مجال التحديث والتنوير؛ فقد أثار بجهوده الحركية والقلمية جملة من القضايا الحَيوية التي تتصل بالنهضة مثل: الوطنية، وحقوق المرأة، والدستور، والتعليم، والمجتمع والثقافة، ونشأة أنواع أدبية، والترجمة، والفارق بيننا وبين الغرب سلوكيًّا وقيميًّا، وكان له السبق في عرض ذلك والإعلان عنه، والريادة في تصويره، بطريقة منهجية كاشفة، مع نزعة عربية إسلامية مستنهضة؛ فهو مثال كبير عال للتكامل المعرفي الإيجابي البنَّاء الفاعل. ومن ثم كان بحثي هذا سياحة أولى عن أدلة التكامل المعرفي في سيرة الشيخ رفاعة وآثاره، وقد تكون من (تمهيد) عن تكامل المُكوِّنات في سيرة الشيخ رفاعة من نسب شريف وبيئة طيبة، وتعليم أزهري، وعمل

عسكري، وبعثة خارجية، ثم كان (مبحث أول) عن أدلة التكامل المعرفي في جهود الشيخ العلمية والتعليمية، و(مبحث ثان) عن آثار التكامل المعرفي في المجال الأدبي، ثم كانت (الخاتمة) مبرزة ما منَّ الله عليَّ به من نتائج عبر هذا البحث، إن شاء الله تعالى. وأهمها أن الشيخ رائد في مجال تجديد الإبداع الأدبي، وفي مجال تعريب العلوم، وفي مجال الاجتهاد الأصيل الرصين الوسطي المستنير.

Cognitive integration in the effects of Sheikh Rifa'a al-Tahtawi (1801-1873 AD)

Prof. Sabri Fawzi Abdel Allah Abu Hussein.

Research Summary:

Cognitive integration in the effects of Sheikh Rifa'a al-Tahtawi (1801-1873 AD)

Aresearch presented to the Second International Conference of the College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sohag, entitled (Knowledge Integration between Sciences and its Impact on Intellectual Balance and Societal Reality), which is scheduled to be held on Saturday and Sunday 28-29/10/2023.

Sheikh Rifaa Al-Tahtawy enjoys a great place in the modern Egyptian and Arab cultural heritage as a pioneer in the field of modernization and enlightenment, as he raised with his kinetic and pen efforts a number of vital issues related to the renaissance, such as: patriotism, women's rights, the constitution, education, society and culture, the emergence of literary genres, translation, and the difference between us and the West behaviorally and values. Doer. Hence, my research was this first tourism on the evidence

of cognitive integration in the biography of Sheikh Rifa'a and its effects, and it may consist of (preface) on the integration of the Components in the biography of Sheikh Rifaa of the lineage of Sharif and a good environment, and Azhari education, and military work, and a foreign mission, then was (first section) on evidence of cognitive integration in the efforts of the Sheikh scientific and educational, and (second section) on the effects of cognitive integration in the literary field, then was (conclusion) highlighted what Allah Ali by the results through this research, hopefully Almighty. The most important of which is that the Sheikh is a pioneer in the field of renewing literary creativity, in the field of Arabization of science, and in the field of authentic, .sober and enlightened ijtihad

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتمهم، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فمن معالم البحث العلمي الفاعل هذا التكامل بين العلوم والمعارف، في أسس النظر، وآليات الاستدلال، حيث تشد العلوم بعضها برقاب بعض ويحدث بينها تعاضد وترافد، وينبني بعضها على بعض، فتخرج من رحم هذا علوم جديدة، وأفكار طريفة، وهذا في آننا، في نظري، فريضة الوقت، بدل ما نراه من ضعف في البحث العلمي تمثل في التقليد الأعمى للسابق أو الوافد أو الاجترار السطحي لجهود أسلافنا أو الإيمان العصري بما يسمى سلطة التخصص العلمي الدقيق! فمن يقرأ في سِيَر كبار علمائنا يجدهم تعمقوا في فنون شتى ومعارف مختلفة، ومن ثم عاشوا في توازن فكري تام وأمن مجتمعي حقيقي، على الرغم من تقلبات الحياة وفتنها، وتجاذبات الأحياء وصراعاتهم، ومن ثم فإنني أثمِّن فكرة المؤتمر الدولي الثاني لكلية الدراسات الإسلامية والعربية الدولي للبنات بسوهاج، المعنون بـــ: **(التكامل المعرفي بين العلوم وأثره في التوازن الفكري والواقع المجتمعي)**؛ فإن هذا العنوان، الداعي إلى دراسات تكاملية فاعلة بين العلوم، لَدليل على الحضور الثقافي الماتع والناصع لجامعة الأزهر- من خلال هذه الكلية العتيقة الواعدة في قيادتها وأقسامها العلمية- في ميدان العلوم الإنسانية، وهو كذلك إعلان عن الحضور الإيجابي الفاعل للأزهر الشريف في خدمة مجتمعه المحلي ومحيطه الدولي، وتحقيق الوسطية الفكرية والتفاعلية البحثية بين التخصصات العلمية المتنوعة .

ومن ثم كان هذا دافعي على تلك السُّهمة البحثية بهذا الموضوع: **(التكامل المعرفي في آثار الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي(١٨٠١-١٨٧٣هـــ)**؛ فالشيخ رفاعة يتمتع بمكانة كبيرة في الإرث الثقافي العربي

الحديث باعتباره الرائد في مجال التنوير، فقد أثار بقلمه جملة من القضايا الحيوية التي تتصل بالنهضة مثل: حقوق المرأة، والدستور، والتعليم، والمجتمع والثقافة، ونشأة أنواع أدبية، والترجمة، والفارق بيننا وبين الغرب سلوكيًّا وقيميًّا، وكان له السبق في عرض ذلك والإعلان عنه، والريادة في تصويره بطريقة منهجية كاشفة، مع نزعة عربية إسلامية مستنهضة.

ويأتي هذا البحث- بمشيئة الله تعالى- في تمهيد ومبحثين، على النحو الآتي:

تمهيد: تكامل المُكوِّنات في سيرة الشيخ رفاعة.

المبحث الأول: أدلة التكامل المعرفي في جهود الشيخ رفاعة العلمية والتعليمية.

المبحث الثاني: أدلة التكامل المعرفي في المجال الأدبي.

ثم تأتي **(الخاتمة)** لتبرز ما منَّ الله عليَّ به من نتائج عبر هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

ولو لم يكن لهذا البحث إلا أنه محاولة لتسليط الضوء على مجهود هذا العلم الأزهري الفذ، ضد من يحاول أن ينال من شخصيته وآثاره، زاعمًا أنه سبب في إضعاف الأزهر أو سبب في تعويق جهود النهضة قبل زمانه عند ثلة من الشيوخ العلماء! أو أنه أحدث التنوير المشوه! ويشطح بعضهم فيجعله سببا في تخريب الهوية الإسلامية!

إن الشيخ رفاعة هو الناهض بهذه الأمة عن طريق توظيف معارفه المتكاملة، يقول أمير الشعراء شوقي في رثاء علي فهمي رفاعة ابن رفاعة الذى مات عام ١٩٠٣م:

يا ابن الذى أيقظت مصرَ معارفُه أبوك كان لأبناءِ البلادِ أبا[١]

(١) ألقيت في عام ١٩٠٣م، عندما توفي الابن الأصغر للشيخ رفاعه (علي) وكان كاتبًا

إنه مثال طيب للتكامل المعرفي، والتعامل الإيجابي مع المنجز العقلي عربيًّا وفرنسيًّا، فلم يذُب في الثقافة الفرنسية، ولم يتقوقع في الثقافة العربية! فآثار الشيخ دالة على إنسان صعيدي مصري عربي مسلم مثقف، يطور نفسه ويحاول النهوض بالآخرين!

وهذا ما يحاول بحثي تقديم الأدلة عليه من مؤلفات الشيخ ومترجماته!

* * *

وأديبًا لامعًا، فرثاه أمير الشعراء أحمد شوقي بهذه القصيدة.

التمهيد

تكامل المُكوِّنات في سيرة الشيخ رفاعة الطهطاوي

بقراءة سيرة الشيخ رفاعة الطهطاوي وتدبر مسيرته التعليمية والعلمية(١) نجد مكونات عدة متنوعة، تكاملت قدريا فصارت فاعلة ومؤثرة فيه إنساناً وعقلاً، وشخصية، هي:

المُكوِّن المجتمعي:

يقصد بالمُكون المجتمعي بيان أثر نسبه وبيئته فيه؛ فالشيخ رفاعة صعيدي النسب والميلاد والنشأة، فهو رفاعة بك بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع، ويُلحقون نسبهم بمحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحُسين بن فاطمة الزهراء، وُلد في(٧ من جمادى الآخرة ١٢١٦هـ= ١٥ أكتوبر ١٨٧٣م)، بمدينة طهطا، إحدى مدن محافظة سوهاج، بصعيد مصر، ونشأ في أسرة كريمة الأصل شريفة النسب، فأبوه ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، السبط. وأمه فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلي، ينتهي نسبها إلى قبيلة الخزرج الأنصارية. وقد لقي رفاعة عناية من أبيه، على الرغم من تنقله بين عدة بلاد في صعيد مصر، فحفظ القرآن الكريم، ثم رجع إلى موطنه طهطا بعد أن توفي والده. ووجد من أسرة أخواله اهتمامًا كبيرًا حيث كانت زاخرة بالشيوخ والعلماء، فحفظ على أيديهم المتون التي كانت متداولة في هذا العصر، وقرأ عليهم شيئًا من الفقه والنحو. وقد ولد الطهطاوي في طهطا لعائلة من الأشراف لها امتيازات كثيرة في الأرض.

---

(١) من مصادر ترجمة شيخنا: الأعلام للزركلي٣/٢٨-٢٩، وقد اعتمد على: الخطط التوفيقية ١٣: ٥٣، والبعثات العلمية ص٤٦، والثغر الباسم، لأحمد رافع الطهطاوي ص٤٦، وأعيان البيان ص٩٠، وتاريخ آداب العرب لجورجي زيدان ٤: ٢٩٦، وحركة الترجمة بمصر ص٥٢، ومجلة الهلال: المجلد الثالث، الجزء الثاني. ومعجم المطبوعات، ص ٩٤٢، والفهرس التمهيدي ص٣٩٥، وبناء دولة ص١١٦.

ولكن طفولته شهدت إلغاء محمد على نظام الالتزام، وسحب الالتزامات التي كان يتمتع بها الأشراف ومشايخ الأزهر؛ لتصبح أسرته فقيرة في غمضة عين ويضطر الأب بدوي رافع أن يهجر موطنه ويرحل من قريته. أخذ الأب ابنه رفاعة وعمره اثنتا عشرة سنة ثم رحل راكبًا حمارًا حينًا، وحينا سائرًا على قدميه، ولجأ إلى أقربائه في قنا، ثم رحل مرة أخرى إلى فرشوط، وخلال هذا الترحال استطاع الطفل رفاعة أن يتعلم القراءة والكتابة ويحفظ القرآن في هذه البلاد التي كانت أكبر من قريته. ويحدث أن يموت الأب فجأة فتعود الأم بطفلها إلى طهطا مرة أخرى. لقد نشأ الشيخ رفاعة في عائلة مرموقة من القضاة ورجال الدين، فلقي الفتى رفاعة عناية من أبيه، فحفظ القرآن الكريم، وبعد وفاة والده رجع إلى موطنه طهطا، ووجد من أخواله اهتمامًا كبيرًا، حيث كانت زاخرة بالشيوخ والعلماء، فحفظ على أيديهم المتون التي كانت متداولة في هذا العصر، وقرأ عليهم شيئًا من الفقه والنحو.

ولا ريب في أن هذه النشأة جعلت منه الرجل الجاد الأصيل، الحريص على كل بناء وكل تعمير وكل تطوير... ورغم حالة الفقر الذى تعيش فيه أمه إلا أنها تصمم على تعليمه فتبيع ما لديها من عقار ومصاغ قليل وترسله إلى القاهرة ليتعلم في الأزهر، ويرحل الطهطاوي من الصعيد إلى القاهرة في رحلة ملاحية شاقة استغرقت أسبوعين على ظهر مركب بدائي، وخلال هذين الأسبوعين كان يهضم دروسه جيدًا وهو يمسح بعينيه وقلبه وعقله البلاد التي يراها على النيل طوال الرحلة، ساعتَها أدرك جمال هذا الوطن وسحره؛ فالوطن مثل النيل قوي وعفي لكن بيوته فقيرة مثل مركبه، والناس حائرون مثله فوق هذا المركب لا يجدون بديلاً عنه للوصول إلى ما يريدون. والتحق رفاعة بالأزهر عام ١٨١٧م، وكان أثناء الدراسة يقوم بالتدريس أيضًا، يعبر كل يوم النيل إلى الجانب الغربي ليعطي دروسًا لأبناء الأغنياء بما يعينه على

مساعدة نفسه حتى يصل إلى حلمه. وفى الأزهر سوف يلتقى الطهطاوي بالشيخ حسن العطار الذى سوف يصبح صانع الأسطورة[١].

إنه مصريٌّ صميمٌ، من أقصى الصعيد، يتصل نسبه من جهة أبيه بسيدنا الحسين – رضي الله عنه، وقد أشار إلى هذا النسب قوله:

حسينيّ السلالة قاسميٌّ بطهطا معشري وبها مهادي[٢]

ومن جهة أمه بالأنصار الخزرجية، ولد في طهطا، وكان أجداده من ذوي اليسار وممن تولوا مناصب القضاء بمصر، ثم أخنى عليهم الدهر، وحينما وُلِدَ كانت أسرته في عسر، فنشأ نشأةً معتادةً بين أبوين فقيرين، وقرأ القرآن، وتلقَّى العلوم الدينية، كما يتلقاها عامة طلبة العلم في عصره[٣]...

المكون العسكري:

ومما أثر في شخصيته – بلا ريب– التحاقه بالجيش المصري النظامي الجديد– الذي أنشأه محمد علي عام ١٨٢٤م– حيث ترك التدريس بالأزهر حزينا؛ بسبب ظروفه المادية الصعبة، وعن طريق توسط الشيخ حسن العطار له، أصبح إماما وواعظًا في جيش محمد على بمرتب أكبر، لإحدى فرقه، وهذه الخدمة العسكرية أعطته قدرة على الدقة والنظام، وقدرة على

---

(١) مقال: أسطورة رفاعة الطهطاوي، عبدالمحسن سلامة، مقال في جريدة الأهرام، بتاريخ ١٩ فبراير، سنة ٢٠٢١م، ومقال: تلك الأيام، أسطورة رفاعة الطهطاوي، محسن
عبد العزيز، الجمعة 7 من رجب ١٤٤٢ هـــ ١٩ فبراير ٢٠٢١ السنة ١٤٥ العدد ٤٩٠١٨، على الرابط: https://gate.ahram.org.eg/daily/News/

(٢) قاسميّ: نسبة إلى أجداده أبي القاسم الحسين، وهو من أولياء طهطا المشهورين، راجع في نسبه الخطط التوفيقة لعلي مبارك ج١٣، ص٥١-٥٦. نقلا عن في الأدب الحديث ١/٢٥.

(٣) في الأدب الحديث ١/٢٥.

بذل الجهد المتواصل الدؤوب تعلما وبحثًا، **فاعتاد حياةً جديدةً عنوانها: النظام والطاعة، ومحبة الوطن والدفاع عنه، ومواجهة الأخطار، وقد كان لذلك أثر كبير في حياته، فعاش محبًّا للنظام، في كل ما تولاه: في تلقي العلوم، وفي التأليف والتعريب، وفي حسن تنظيم المعاهد التي تولَّى إدارتها، شغوفًا بوطنه مخلصًا له طول حياته.** [١].كما تولى الشيخ رفاعة نظارة المدرسة الحربية التي أنشأها الخديوي سعيد لتخريج ضباط أركان حرب الجيش سنة (١٢٧٧هـ/١٨٥٦م)، وقد عُنِي بها الطهطاوي عناية خاصة، وجعل دراسة اللغة العربية بها إجبارية على جميع الطلبة، وأعطى لهم حرية اختيار أجدى اللغتين الشرقيتين: التركية أو الفارسية،وإحدى اللغات الأوربية: الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية، ثم أنشأ بها فرقة خاصة لدراسة المحاسبة، وقلمًا للترجمة برئاسة تلميذه وكاتب سيرته صالح مجدي، وأصبحت المدرسة الحربية قريبة الشبه بما كانت عليه مدرسة الألسن[٢]:

المكون الأزهري:

ثم التحق الفتي رفاعة- وهو في السادسة عشرة من عمره - بالأزهر في عام ١٨١٧م، وتتلمذ على يد علماء الأزهر العظام، ومنهم الشيخ القويسنى (ت١٨٣٨م)، والشيخ إبراهيم البيجوري (ت١٨٦٠م)، والشيخ حسن العطار (ت١٨٣٥م)، الذي لازمه الطالب رفاعة الطهطاوي حينئذ، وتأثر به؛ لما تميز به العطار من المعرفة بالعلوم الأخرى غير الشرعية واللغوية، كالتاريخ والجغرافيا والطب.وشملت دراسته في الأزهر الحديث والفقه

(١) في الأدب الحديث ١: ٢٠ (جاء في عدد خاص أصدرته مجلة الجيش بمصر، سنة ١٩٤٨ لذكرى إبراهيم (باشا) أن من مترجمات الطهطاوي التي تتصل بالجيش (نبذة في تاريخ إسكندر الأكبر) و (قطعة من عمليات الضباط). .

(٢) حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ص٥٤، جاك تامر، طبع سنة ٢٠٢٢م. ومجلة المشرق مج١١ ص٧٧٩، طبع سنة ١٩٠٨م.

والتفسير والنحو والصرف، وغير ذلك.

علاقته الخاصة بالشيخ حسن العطار(١٧٦٦-١٨٣٥م) [١]:

دخل الشيخ رفاعة الأزهر كما دخله غيره، وصار من علمائه كما صار كثيرون، ولكن ذكاءه وحبه للعلم، وإقباله على التحصيل، لفت إليه نظر الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر في ذياك الوقت.

وكان الشيخ العطار قد احتك بعلماء الحملة الفرنسية ورأى ما وصل اليه الفرنسيون من علم وتقدم. وكان واسع الأفق بعلوم لا يعرفها رجال الأزهر مثل التاريخ والجغرافيا والهندسة والزراعة والمعادن، وعمل على تعليم هذه العلوم للنابهين من الأجيال الجديدة، ومنهم رفاعة الطهطاوي الذى كان يفضله عن سائر التلاميذ، ويلازمه في منزله في غير أوقات الدروس ليطلعه على الكتب الغربية التي لم تكن متداولة في الأزهر.. **وكان الشيخ العطار من أفذاذ عصره في العلم والأدب والفنون الحديثة، فاقتدى به تلميذه الشيخ رفاعة، فقرأ كثيرا من كتب الأدب، ومهر في فنونه وهو بعد في الأزهر**[٢]... وبهذا تأهل الشيخ بكل علوم الأصالة العربية الرئيسة من نحو وصرف وبلاغة ومعجم وآداب، إضافة إلى بعض شذرات من علوم تجريبية على يد أكابر شيوخ الأزهر، وفي رحابه الشريفة، ومن آثارهم العلمية

---

(١) هو من كبار علماء الأزهر، وممن تولوا مشيخته، وقد عاصر الحملة الفرنسية وكان على صلة ببعض علمائها، وهو أستاذ لرفاعة الطهطاوي، وقد توفي سنة ١٨٣٥م. تطور الأدب الحديث في مصر، ص٢٦.نقلا عن تاريخ الجبرتي جـــ٤ ص٢٣٢، والخطط التوفيقية جـــ٤ ص٣٨، ومناهج الألباب المصرية لرفاعة الطهطاوي ص٣٧٦، وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان جـــ٤ ص٢٣٢، وتاريخ الحركة القومية للرافعي جـــ٣ ص٧٤٢.

(٢) في الأدب الحديث١/٢٥. .

المنيفة، عن طريق شيوخه الأزهريين لا سيما مكتشفه وراعيه الشيخ حسن العطار...

المكوِّن الأجنبي:

وتمثل هذا المُكوِّن في سفره إلى فرنسا، في ١٣٢٤=١٨٢٦م، حين قررت الحكومة المصرية إيفاد بعثة علمية، عددها أربعون طالبًا، إلى فرنسا لدراسة العلوم والمعارف الإنسانية، وكان بينهم ثمانية عشر طالبًا فقط من المتحدثين بالعربية، بينما كان البقية يتحدثون التركية! وقرر الوالي محمد علي أن يصحب هذه البعثة ثلاثة من علماء الأزهر الشريف لإمامتهم في الصلاة ووعظهم وإرشادهم. وكان رفاعة الطهطاوي واحدًا من هؤلاء الثلاثة، ورشحه لذلك شيخه حسن العطار؛ فعلى متن السفينة الحربية الفرنسية (لاترويت) بالفرنسية(La truite)ــ وفي ١٣ أبريل ١٨٢٦م ذهبت البعثة إلى فرنسا لدراسة اللغات والعلوم الأوروبية الحديثة، وكان عمر الشيخ حينها أربعة وعشرين عامًا، حيث ذهب بصفته إمامًا للبعثة ولكنه إلى جانب كونه إمامًا في الجيش اجتهد في التعلم، فدرس اللغة الفرنسية، استأجر لنفسه معلما خاصًا يعطيه دروسًا في الفرنسية نظير بضعة فرنكات كان يستقطعها من مصروفه الشخصي الذي كانت تقدمه له إدارة البعثة، وأخذ يشتري كتبًا خاصة إضافية غير مدرجة في البرنامج الدراسي، وانهمك في قراءتها. ومن شدة حرصه على مداومة القراءة والدرس تأثرت عينه اليسرى، ونصحه الطبيب بعدم الاطلاع ليلاً، لكنه لم يستجب لنصحه، واستمر في إشباع نهمه للمعرفة؛ ولذلك قررت الحكومة المصرية ضم الشيخ رفاعة إلى بعثتها التعليمية، وأن يتخصص في الترجمة، وبعد خمس سنواتٍ حافلة أدى رفاعة امتحان الترجمة، وقدَّم مخطوطة كتابه الذي نال بعد ذلك شهرة واسعة (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، وهو الكتاب الذي ارتبط اسمه به، ووصف فيه الحياة في باريس وعادات أهلها وأخلاقهم، وهو ليس وصفًا لرحلة أو تعريفًا لأمة، بقدر ما هو دعوة للارتقاء، وصرخة للبعث

والنهوض[١]. وقد لقي الفتى النابه عناية ظاهرة من العالم الفرنسي آدم فرانسو جومار(١٧٧٧-١٨٦٢م)-محرر كتاب وصف مصر- الذي عهد إليه محمد علي بالإشراف العلمي على البعثة، ومن المستشرق الفرنسي الكبير أنطوان إيزاك سِلفستر **دي ساسي** (١٧٥٨-١٨٣٨م)، ومن أمثال: الكونت "دي شبرول" محافظ ولاية السين وعضو مجلس النواب، وأحد علماء الحملة الفرنسية على مصر، والمستشرق "كوسان دي برسفال"، وقد تتلمذ الطهطاوي على مجموعة من أنبه علماء فرنسا في ذلك الوقت وعقد معهم صداقات وعكف على مؤلفاتهم، ولم تفته أمهات هذه المؤلفات منها: "روح القوانين" لمنتسكيو و"العقد الاجتماعي" لجان جاك روسو.. إلخ. وقد ذكر الطهطاوي في كتابه **(تخليص الإبريز)** بعض المراسلات بينه وبين كبار علماء فرنسا، وذكر عبارات الحفاوة والتشجيع التي كتبها له هؤلاء العلماء[٢]. واجتاز كل الامتحانات التي عُقدت له بنجاح باهر، وكانت التقارير التي ترسل إلى محمد علي تتابع أخبار البعثة تخص رفاعة بالثناء والتقدير. وقبل أن يتقدم رفاعة للامتحان النهائي كان قد أنجز ترجمة اثني عشر عملاً إلى العربية في التاريخ والجغرافيا والهندسة والصحة، بالإضافة إلى مخطوطة كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، وقبل أن يتقدم رفاعة للامتحان النهائي كان قد أنجز ترجمة اثني عشر عملاً علميًّا فرنسيًّا إلى العربية، ثم عاد سنة ١٨٣١م. وعبر هذه السنوات الست قضَى الشيخ رفاعة نصفَها في دِراسَة التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآداب الفرنسيَّة، وقرَأ مُؤلَّفات فولتير وروسو ومنتسكيو، وقرأ بعضَ الكتب في المعادن وفن العسكريَّة والرياضيات، كما

(١) راجع مقال: رفاعة الطهطاوي بين الأزهر وباريس، أحمد تمام، على الرابط:
https://islamonline.net/archiv

(٢) راجع مقال: دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية، د/هاني السباعي، على الرابط:
https://myportail.com/actualites-news-web-2-0.php?id=1865

يقرر المؤرخ القدير عبدالرحمن الرافعي(١).

وفي خلال هذه الرحلة المباركة حدثت صدمة في عقل الشيخ رفاعة بين نظام الحياة العلمية والتعليمية الأوربية المنظم الناهض، ونظام الحياة العربية الجامد الهاوي! ورأى البون الشاسع بين ضعفنا ونهضتهم، فأخذ الشيخ بوعي وإخلاص في نقل المفيد النافع من علوم الفرنسيين وآدابهم، على النحو الذي تنطق به آثاره المنقولة عنهم، سواء في مجال القانون أو التجارة أو الاقتصاد أو العسكرية أو الطب أو الهندسة أو الآداب...

... وهكذا قدر الله -تعالى- لشيخنا رفاعة أن تتكامل عدة عوامل متنوعة لتؤثر فيه من أصله الشريف ونسبه المنيف مع بيئته السوهاجية الصافية، والحياة العسكرية الجادة، والتعليم الأزهري الأصيل، والثقافة الأوربية الجيدة؛ لتكوِّن تلك الشخصية المجاهدة المنتجة، الشخصية الثابتة المتوازنة المكافحة المعمرة، التي وُلدت في الخير، وعاشت في الجد، ونُشِّئت للخير والإنتاج، فكانت سبب الخير في مُجمَل عمرها، على أهلها ووطنها وأمتها.

(١) راجع مقال: كيف استطاع الطهطاوي الأزهري أن يتعلم الفرنسية ويتجاوز الصدمة الثقافية الغربية ويبهر أهل المعرفة؟ للكاتب مصطفى جودة، الأهرام المسائي، ٢٠١٦/١١/١٢م.على الرابط:

https://gate.ahram.org.eg/News/1298584.aspx

المبحث الأول

أدلة التكامل المعرفي في جهود الشيخ العلمية والتعليمية

بقراء سيرة الشيخ رفاعة وتتبع جهوده وآثاره في العلوم الشرعية، والعلوم العربية، والعلوم الإنسانية، والعلوم الطبيعية، نجد تأثيرًا فكريًّا له في مناح عدة من أهمها إحياء التراث العربي، وتعريب علوم، وتعريب الصحافة، وتحديث الآداب، فضلا عن جهوده العلمية الخاصة ممثلة في (مؤلفاته ومترجماته). وهاك أدلة على ذلك:

جهاده التدريسي:

أمضى الشيخ رفاعة في الأزهر ست سنوات، حتى تخرج في الأزهر سنة ١٨٢١م، وأحب التدريس في الجامع الأزهر، فجلس للتدريس فيه سنة ١٨٢١م، وهو ابن الحادية والعشرين، من عمره، وألقى دروسًا في الحديث والمنطق والعروض وكان مدرسًا بارعًا، حيث التف حوله الطلبة يتلقون عنه علوم المنطق والحديث والبلاغة والعروض، ثم ترك التدريس بالأزهر بعد عامين حزينا! وقد ظهر فيهما استعداده للتعليم والتثقيف؛ إذ أحبه تلاميذه حبًّا جمًّا، وتتعلقوا به وبدروسه. يقول صالح بك مجدي في هذا – في رسالته "حلية الزمن بمناقب خادم الوطن" وهي ترجمة حياة رفاعة بك، كتبها صالح مجدي أحد تلاميذه-:"وكان -رحمه الله- حسن الإلقاء؛ بحيث ينتفع بتدريسه كل من أخذ عنه، وقد اشتغل في الجامع الأزهر بتدريس كتبٍ شتَّى: في الحديث والمنطق والبيان والبديع والعروض وغير ذلك، وكان درسه غاصًّا بالجمِّ الغفير من الطلبة، وما منهم إلّا من استفاد منه، وبرع في جميع ما أخذوه عنه، لما علمت من أنه كان حسن الأسلوب سهل التعبير، مدققًا، محققًا، قادرًا على الإفصاح بطرق مختلفة؛ بحيث يفهم درسه الصغير والكبير بلا مشقةٍ ولا تعبٍ، ولا كدٍّ ولا نصبٍ[١] "... كما اقتحم الشيخ رفاعة مجالات

(١) في الأدب الحديث١/٢٥.

التربية والتعليم بروح وثّابة، فأشرف على تدريس اللغة العربية بالمدارس، واختيار مدرسيها وتوجيههم، والكتب الدراسية المقررة، ورئاسة كثير من لجان امتحانات المدارس الأجنبية والمصرية.[١]. كما أنشأ مكاتب محو الأمية لنشر العلم بين الناس! كما جهاده في إحياء التراث العربي؛ فسعى إلى إنجاز أول مشروع لإحياء التراث العربي الإسلامي، فنجح في إقناع الحكومة بطبع عدة كتب من عيون التراث العربي على نفقتها، ودفع مطبعة بولاق لنشر أمهات كتب التراث العربي[٢]....

جهاده السياسي[٣]:

من المعلوم تاريخيًّا واجتماعيًّا وحضاريًّا أنه قد مرت على الناس خلال مسيرتهم في هذه المعمورة أنظمة للحياة ومناهج للتعامل بين البشر، تحدد كيفية المواطنة بينهم والتواصل معهم، وقد تنوَّعت وتلوَّنت هذه الأنظمة والمناهج حسب ظروف كل عَصر ومَصر، لكنها في مجملها تتغيَّا تحقيق التعايش السِّلْمي، المستنِد إلى مجموعة من القِيَم الكبرى، التي من أهمِّها الحبُّ والحُرِّيَّة والإخاء والمساواة والعدل للجميع ومن الجميع، وبين الجميع، في المكان الواحد. وقد وُجِدت نصوص إلهية، وأخرى بَشَرِيَّة، موجزة مُكَثَّفةٌ، مُعبِّرة عن ذلك الهدف الكوني، في تراث كل دولة وكل حضارة وكل أمة وكل مجتمع، عند الفراعنة والإغريق والرومان والعرب والفرس... وغيرهم، وقد ظل العرب والمسلمون يَحْيَوْن في ظلال مبادئ وثيقة المدينة

---

(١) راجع مقال: رفاعة الطهطاوي.. رائد التنوير ومشروعه النهضوي، أ.د/ طارق منصور، بوابة الهلال بتاريخ ٢٠٢٣/٨/١٠، على الرابط:
https://darelhilal.com/News/1878293.aspx

(٢) في الأدب الحديث١/٢٥.

(٣) فهرس مخطوطات مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي، د/يوسف زيدان، مج١ ص١١. سنة ١٩٩٦م. ومقال الفكر التربوي عند الشيخ رفاعة الطهطاوي، سارة عبدالخالق محرم في موقع مجلة الهلال بتاريخ ١١/ ٨/ ٢٠٢٣م.

المنورة المَدَنِية الجامعة ومقاصدها، عبر أنظمة حكم متنوعة، إلى أن دخلنا العصر الحديث، فكانت مصر منبع كل تحضُّر وتَمَدُّن وجالبةَ كل ما يُعين العالمين: العربي والإسلامي، على المعاصرة والحداثة، عن طريق الأَجِلَّاء من علمائها وشيوخها؛ فقد شهدت مصر خلال القرن التاسع عشر كله نضالًا طويلًا يتعلق بوضع دستور وطني يُعدُّ مرجعًا أساسيًّا لنظام الحكم وتحديد السلطات وإقرار الحقوق والواجبات العامة، وقد بدأ التفكير فيه عن طريق الشيخ الأزهري المستنير رفاعة رافع الطهطاوي(١٨٠١-١٨٧٣م) الذي يعد رائدًا في نقل الدستور الفرنسي إلى العربية، ومُبَشِّرًا بالحياة الدستورية والنيابية المستوردة، وهو في ذلك مقتدٍ بسيدنا عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- حينما نقل نظام الدواوين الفارسي إلى الإسلام، فبعد مرور البلاد المصرية بعدة تجارب متنوعة في أنظمة الحكم في النصف الأول من القرن التاسع عشر، استطاع رائد التربية والتعليم والترجمة في مصر الشيخ رفاعة الطهطاوي أن يكون "**الرائد الدستوري**" في نظر الدكتور ماهر حسن، في كتابه "حكاية الدساتير المصرية في مائتي عام"؛ حيث ترجم الشيخ رفاعة الطهطاوي، في عصر محمد علي، نصَّ الدستور الفرنسي في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" ودعمه بالشروح والتحليلات والتعليقات. يقول الدكتور جابر عصفور في مقالته (أزهري في باريس): "أبدى الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي فيما سجله عن باريس إعجابه المتكرر بما كان يراه من تقدم فرنسا في ممارسة الحرية؛ فقد أبدى إعجابه- في كتابه: «**تخليص الإبريز في تلخيص باريز**»- بتنظيم هذه الحرية في مؤسساتها الدستورية والنيابية والقانونية، وحرص على أن يُنبِّه أمته إلى مكانة الحرية في التمدُّن والعمران، وإلى مميزات النظم الدستورية المُقيِّدة لسلُطات حكوماتها بالقانون؛ لأن الحرية - كما قال- هي الوسيلة العظمى في إسعاد أهالي الممالك؛ فإذا كانت الحرية مبنية على قوانين حسنةٍ عَدْلية، كانت واسطةَ عظمى في راحة الأهالي، وإسعادِهم في بلادِهم، وكانت سببًا في حبِّهم لأوطانِهم، وقد تأسست

الممالك لحفظ حقوق الرعايا، والحرية، وصيانةِ النفس، والمالِ، والعِرْضِ، على مُوجِب أحكام شرعية، وأصول مضبوطة مَرْعية؛ فالملك يتقلَّد الحكومة لسياسة رعاياه على موجب القوانين"، فينتهي إلى هذه العبارات التي يمكن أن نَعُدَّها المفتاح الأساس لفهم كتابه كله، أو لفهم ما رآه من مظاهر التقدم في باريس. وهى عباراته التي يقول فيها: «الفرنساوية من الفِرق التي تعتبر التحسين والتقبيح العقليين... ويعتقدون أنه لا يمكن تخلف الأمور الطبيعية أصلًا، وأن الأديان إنما جاءت لتدل الإنسان على فعل الخير، واجتناب ضده،... وأن الممالك العامرة تصنع فيها الأمور السياسية كالأمور الشرعية»... ولذلك لم يكن من الغريب أن يقرأ الشيخ رفاعة وأن يتفهم كتابينِ كليهما عُمدة في مجاله: أولهما كتاب: «العقد الاجتماعي» لجان جاك روسو1712 1778» Jean-Jacque Rousseau م» وثانيهما كتاب: «روح الشرائع» لمونتسكيو1689 1775» Montesquieuم». و"الشرائع" ترجمة لما نعرفه اليوم بـــــاسم: «القوانين»، وهو كتاب فيما يقول رفاعة: «أشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية، ومبني على التحسين والتقبيح العقليين[١]"،»...

<u>وهكذا نجد وعيًا كبيرًا مبكرًا عند الشيخ (رفاعة الطهطاوي) بالدستور وأبرز اصطلاحاته ومبادئه</u>، وأبرز مصادره الغربية. ثم يأتي محمد شريف باشا(١٨٢٦-١٨٨٧م) المُنجِز الأول لدعوة الشيخ رفاعة لفكرة الدستور، فحين تولى رئاسة الوزراء عام ١٨٧٩م أقام "النظام الدستوري في مصر"، حيث أنشأ مجلس النواب على غِرار المجالس النيابية الحديثة، وقد تلا إنشاء ذلك المجلس استصدار أول مشروع لدستور مصري في عام١٨٧٩م، الذي تكوّن من (٤٩) مادة، والذي يُعدُّ الصيغة الدستورية المصرية الأولى، السليمة والمتكاملة والواضحة والمتقدِّمة في تاريخ مصر. وبمقتضى هذا

(١) أزهري في باريس، د/ جابر عصفور، الأهرام، عدد(٤٨٥٧٠)، بتاريخ الجمعة ٢٩ فبراير سنة ٢٠١٩م..

الدستور أصبح التشريع من حق مجلس النواب، فلا يصدُر قانون إلا بموافقته، ومنذ ذلك الحين أخذت الأمة في إنشاء عدد من النصوص الدستورية المتوالية، حتى انتهينا إلى الدستور الحالي: دستور سنة ٢٠١٤م...

جهاده في المجال الصحفي:

من جهود الشيخ رفاعة الفريدة إصداره جريدة الوقائع المصرية بالعربية بدلاً من التركية، (أول جريدة ناطقة باللغة العربية في عام ١٨٤٢م)، وهي أول صحيفة عربية تصدر في مصر وسماها جريدة الوقائع المصرية، وهو أول من تولى رئاسة تحرير الوقائع المصرية. وقد أدخل التجديدات على محتواها وإخراجها، فغير اسمها، وبدأ تمصيرها وإدخال اللغة العربية بها، لتأخذ الصدارة، ثم ترجمها إلى اللغة التركية دون الإخلال بالأصل العربية، فصدرت الصحفية بالعربية في الناحية اليمنى والتركية إلى جانب اليسار، وقال في وثيقة تنظيم «الوقائع المصرية» التي ارسلها لمحمد علي باشا، وحصل على موافقته عليها: "أما الحوادث الخارجية، وإن كانت ستنشر في الجريدة، إلا أن الأخبار المصرية ستكون المادة الأساسية"، كما اهتم بحداثة الأخبار التي تنشرها صحيفته، وأعطى لها الأولوية، بل وكلف مترجمًا بإحضارها إذا تأخرت، ولم يقف التغير والتجديد على الشكل فقط، وإنما تطرق إلى موضوعاتها، وتحولت الأخبار والحوادث، وحتى الافتتاحية إلى موضوعات رئيسية هامة للشرق وأوروبا، وبعدت الافتتاحية عن المديح والحشو غير المبرر، وناقشت السياسة الداخلية والخارجية، وصدر قرار بترقيته إلى قائم مقام في عام ١٨كما أشرف على تحرير المجلة العسكرية باللغتين العربية والفرنسية[١]".

---

(١) راجع في ذلك:لمحة تاريخية من حياة ومؤلفات رفاعة بدوي رافع الطهطاوي، من وضع حفيده فتحي رفاعة، ص٢٠، طبع القاهرة سنة ١٩٥٨م، ومقدمة د/محمد عمارة للأعمال الكاملة١/٧٥، والمدخل إلى فن التحرير الصحفي، د. عبداللطيف حمزة، ص٤٣٥، طبع وكالة الصحافة سنة ٢٠٢٠م، وتاريخ الصحافة المصرية

كما عهد إلى شيخنا الطهطاوي إصدار مجلة روضة المدارس سنة (١٢٨٧هـ = ١٨٧٠م)، فجعل منها منارة لتعليم الأمة ونشر الثقافة بين أبنائها، فقد نظمها أقسامًا، وجعل على رأس كل قسم واحدًا من كبار العلماء من أمثال عبد الله فكري الأديب، وإسماعيل الفلكي العالم الرياضي والفلكي، ومحمد باشا قدري القانوني الضليع، وصالح مجدي، والشيخ حسونة النواوي الفقيه الحنفي المعروف، وغيرهم. وكانت المجلة تنشر مقالات تاريخية وجغرافية واجتماعية وصحية وأدبية وقصصًا وأشعارًا، كما كانت تنشر ملخصًا لكثير من الدروس التي كانت تُلقَى بمدرسة "دار العلوم". اعتادت المجلة أن تلحق بأعدادها كتبًا ألفت لها على أجزاء توزع مع كل عدد من أعدادها، بحيث تكون في النهاية كتابًا مستقلاً، فنشرت كتاب "آثار الأفكار ومنثور الأزهار" لعبد الله فكري، و"حقائق الأخبار في أوصاف البحار" لعلي مبارك، و"الصحة التامة والمنحة العامة" للدكتور محمد بدر، و"القول السديد في الاجتهاد والتجديد" للطهطاوي، وكان رفاعة قد نَيَّف على السبعين حين ولي أمر مجلة الروضة، لكنه ظل مشتعل الذكاء وقَّاد الفكر، لم تنل الشيخوخة من عزيمته، فظل يكتب فيها مباحث ومقالات حتى وفاته في غرة ربيع الآخر ١٢٩٠هـ=السابع والعشرين من مايو سنة ١٨٧٣م. ومجلة روضة المدارس"مجلة ثقافية وأدبية نصف شهرية، كانت تصدر عن ديوان المدارس، وفيها نشر الطهطاوي على حلقات كتابه (القول السديد في الاجتهاد والتجديد)، وكذلك(رسالة البدع المتقررة في الشيع المتبربرة)، وأيضًا كتابه(نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز) وهو أول محاولة لكتابة السيرة النبوية في العصر الحديث بأسلوب يعمل العقل، والتفكير المنطقي في الكثير

دراسة تاريخية معاصرة، د.عواطف عبدالرحمن، د.نجوى كامل، طبع سنة ٢٠٢٠م، ومقال: بين تمصير الصحف والدفاع عن الآثار، منشور في بوابة الأهرام للكاتب محمود الدسوقي بتاريخ ٢٠٢٢/٥/٢٧م.

من المرويات عن النبي[١]"، صلى الله عليه وسلم.

دوره في تعريب العلوم والآداب:

كان دور الطهطاوي في إحياء اللغة العربية وإصلاحها في العصر الحديث دور الرائد العظيم، ومثلت جهوده الجبارة مثلا يحتذى في هذه السبيل، لأنه كان على بصيرة بأن إنسان العصر الحديث قد دخل بالفعل عصر العلم، وأنه لا مناص له من أن يحيا عصره، كما يقرر د/مصطفى لبيب في تذييله كتاب مناهج الألباب المصرية[٢]؛ فقد عمل الشيخ رفاعة بعد عودته إلى مصر، سنة ١٨٣١م، مدرسًا للترجمة في مدرسة الطب المصرية، وبذلك أصبح أول مترجم مصري، ثُمَّ عمل على تطوير مناهج الدراسة في العلوم الطبيعية، ثم نُقل سنة ١٨٣٣م إلى مدرسة الطوبجية «المدفعية» مترجمًا للعلوم العسكرية، كما قام بترجمة كثير من الكتب في مجالات الهندسة والعلوم العسكرية، ومن مفاخره عمله على استصدار قرار تدريس العلوم والمعارف باللغة العربية، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية، واللغة الإجبارية في المدارس العالية، وإشرافه على تدريس اللغة العربية واختيار المدرسين ووضع المناهج الحديثة والكتب الملائمة، كما حاول رفاعة تيسير العلوم الحديثة، فوضع قاموس (معجم) للمصطلحات العلمية الحديثة وألفاظ الحضارة، كان الهدف منه هو ترجمة المصطلحات العلمية الحديثة من الفرنسية إلى اللغة العربية. ومن أبرز الأعمال التي قام بها رفاعة في عهد

---

(١) من تقديم أ/ حلمي النمنم لكتاب مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، المعنون بـــ(مناهج الألباب ومساعي التمدن) ص٧، طبع الهيئة العامة سنة ٢٠١٠م.

(٢) راجع في بيان ذلك الدور مقالة: "ظاهرة التعريب عند الطهطاوي، تأصيل ما ورد في مناهج الألباب من الدخيل، د/مصطفى لبيب عبدالغني، في ذيل طبعة الهيئة المصرية العامة لكتاب "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية"، ص٣، وما بعدها، طبع الهيئة العامة سنة ٢٠١٠م. .

الخديوي إسماعيل نظارته لقلم الترجمة الذي أُنشِئ سنة (١٢٨٠هـ = ١٨٦٣م) لترجمة القوانين الفرنسية، ولم يكن هناك من أساطين المترجمين سوى تلاميذ الطهطاوي من خريجي مدرسة الألسن، فاستعان بهم في قلم الترجمة، ومن هؤلاء: عبد الله السيد (لعله فكري)، وصالح مجدي، ومحمد قدري. وكان مقر قلم الترجمة حجرة واحدة بديوان المدارس، ولم يحلْ ذلك دون إنجاز أعظم الأعمال، فترجموا القانون الفرنسي في عدة مجلدات وطبع في مطبعة بولاق، ولم تكن هذه المهمة يسيرة، إذ كانت تتطلب إلمامًا واسعًا بالقوانين الفرنسية وبأحكام الشريعة الإسلامية، لاختيار المصطلحات الفقهية المطابقة لمثيلاتها في القانون الفرنسي، وطبع الكتاب باسم تعريب القانون المدني الفرنساوي... ومن أعظم ما قدمه الرجل تلاميذه النوابغ الذين حملوا مصر في نهضتها الحديثة، وقدموا للأمة أكثر من ألفي كتاب خلال أقل من أربعين عامًا، ما بين مؤلف ومترجم. (١)؛

إنشاؤه مدرسة الألسن:

كان رفاعة الطهطاوي يأمل في إنشاء مدرسة عليا لتعليم اللغات الأجنبية، وإعداد طبقة من المترجمين المجيدين يقومون بترجمة ما تنتفع به الدولة من كتب الغرب، وتقدم باقتراحه إلى محمد علي ونجح في إقناعه بإنشاء مدرسة للمترجمين، عُرِفت بمدرسة الألسن، ومدة الدراسة بها خمس سنوات، قد تزاد إلى ست. وافتتحت المدرسة بالقاهرة سنة (١٢٥١هـ = ١٨٣٥م)، وتولى رفاعة الطهطاوي نظارتها، وكانت تضم في أول أمرها فصولاً لتدريس اللغة الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والتركية والفارسية،

(١) راجع في بيان ذلك: المصطلح عند رفاعة الطهطاوي بين الترجمة والتعريب، د. إيمان جلال السعيد مكتبة الآداب سنة ٢٠٠٦م، وجهود رفاعة الطهطاوي النحوية والصرفية، د.أسامة عطية عثمان، دار المعرفة سنة ٢٠٠٧م...إلخ.

إلى جانب الهندسة والجبر والتاريخ والجغرافيا والشريعة الإسلامية. وقد بذل رفاعة جهدًا عظيمًا في إدارته المدرسة، وكان يعمل فيها عمل أصحاب الرسالات ولا يتقيد بالمواعيد المحددة للدراسة، وربما استمر في درسه ثلاث ساعات أو أربعًا دون توقف واقفًا على قدميه دون ملل أو تعب يشرح لهم الأدب والشرائع الإسلامية والغربية. وقد تخرجت الدفعة الأولى في المدرسة سنة (١٢٥٥هـ = ١٨٣٩م) وكان عددها عشرين خريجًا، وكانت مترجمات هؤلاء الخريجين قد طُبِعت أو في طريقها إلى الطبع. وقد اتسعت مدرسة الألسن، فضمت قسمًا لدراسة الإدارة الملكية العمومية سنة (١٢٦١هـ=١٨٤٤م)، لإعداد الموظفين اللازمين للعمل بالإدارة الحكومية، وقسمًا آخر لدراسة الإدارة الزراعية الخصوصية بعد ذلك بعامين، كما ضمت قسمًا أنشئ سنة (١٢٦٣هـ = ١٨٤٧م) لدراسة الشريعة الإسلامية على مذهب أبي حنيفة النعمان لإعداد القضاة، وأصبحت بذلك مدرسة الألسن أشبه ما تكون بجامعة تضم كليات الآداب والحقوق والتجارة. وكان رفاعة الطهطاوي يقوم إلى جانب إدارته الفنية للمدرسة باختيار الكتب التي يترجمها تلاميذ المدرسة، ومراجعتها وإصلاح ترجمتها. [١]؛.

وظلت المدرسة منذ نشأتها هذه مشعلاً للعلم، ومنارة للمعرفة، ومكاناً لالتقاء الثقافتين العربية والغربية.

موقف العلامة محمود شاكر من مدرسة الألسن:

من أبرز منتقدي الشيخ رفاعة العلاَّمة محمود شاكر عند قوله عن "مدرسة الألسن": "وضَع رِفاعة الطهطاوي أساسًا لمدرسةٍ ملفَّقة لا كليَّة –

(١) راجع في بيان ذلك: تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان ص١٨٦، طبع ١٩١١م، وعصر محمد علي عبدالرحمن الرافعي، ص٤٤٠،وما بعدها، طبع ١٩٨٩م، والمنارة في التاريخ عن تاريخ مصر والعرب الحديث، د. محمود الضبع، ص١٢٢ طبع ببلومانيا للطبع والنشر، د.ت.

كما يقول الرافعي – مبتورة الصلة كلَّ البتر عن مركز الثقافة المتكامِلة، التي كان الأزهر مهدَها قروناً مُتطاوِلة، وكان هو وحدَه مركزَ ثقافة دار الإسلام في مصر، وكذلك أحدَث رفاعة صدعًا مبينًا في ثقافة الأمَّة، وقسمها إلى شطرَيْن متباينَيْن: "الأزهر" في ناحية، و"مدرسة الألسن" في ناحية، وكذلك حقَّق رفاعة الطهطاوي لدُهَاة الاستِشراق أهمَّ ما يَتُوقُون إليه، وهو: وأْد اليقَظَة الواحِدة المتماسِكَة التي كان الأزهر مركزَها من عهْد البغدادي[١] والزَّبيدي"[٢] والجبرتي[٣]، وفي وقتٍ كان فيه محمد علي الجاهل يحطم أجنحةَ الأزهر ويَضعُه في قفصٍ لا يستَطِيع الإفلاتَ منه، ووُئِدت اليقَظَة التي

---

(١) هو عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠- ١٠٩٣ هـ): صاحب موسعة " خزانة الأدب ولب لباب العرب"، والذي"ألف ما ألف؛ ليرد على الأمة قدرتَها على التذوق، تذوق اللغة والشعر والأدب وعلوم العربية. راجع ترجمته في: خلاصة الأثر للمحبي٢/٤٥١-٤٥٤، والأعلام للزركلي٤/٤١، ومعجم المؤلفين٥/٢٩٥.

(٢) هو محمد بن عبد الرزاق الحسيني المرتضى الزَّبيدي (١١٤٥-١٢٠٥ هـ): صاحب تاج العروس، هب" يبعث التراث اللغوي والديني وعلوم العربية وعلوم الإسلام، ويحيي ما كاد يخفى على الناس بمؤلفاته ومجالسه". راجع: تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ٣/٢٨٨، ٢٨٩، والأعلام٧/٧٠، ومعجم المؤلفين ١١/٢٨٢، وراجع حديث الشيخ محمود شاكر عن هؤلاء في: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص٨٢.

(٣) هو عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (١٧٥٤-١٨٢٢م)، مؤرخ مصر، ومدون وقائعها وسير رجالها، في عصره. ولد في القاهرة وتعلم في الأزهر، وجعله (نابليون) حين احتلاله مصر من كتبة الديوان. وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي. وقتل له ولد فبكاه كثيرا حتى ذهب بصره، ولم يطل عماه فقد عاجلته وفاته، مخنوقا. وهو مؤلف (عجائب الآثار في التراجم والاخبار – ط) أربعة أجزاء، ويعرف بتاريخ الجبرتي، ابتدأه بحوادث سنة ١١٠٠ هـ وانتهى سنة ١٢٣٦ هـ، وقد ترجم إلى الفرنسية. وله (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس – ط) في جزأين، وترجم إلى الفرنسية وطبع بها. ونسبة الجبرتي إلى (جبرت) وهي الزيلع في بلاد الحبشة. راجع الأعلام للزركلي ٣/٣٠٤.

كان الخمسة الكبار أبطالها[١]!"،وفي هذا انتقاص لمدرسة الألسن والشيخ رفاعة، غير قائم على أساس علمي، ومبني على تخيُّل وإيمان بما يسمى نظرية المؤامرة؛ فالحق أن مدرسة الألسن، منذ إنشائها، قائمة على ثنائية المعاصرة والأصالة معًا؛ واختار لها الشيخ رفاعة خمسين طالبًا من نوابغ طلاب المكاتب المصرية، وفي هذه المدرسة، التي تولى الشيخ نظارتها، ظهر نبوغه عالمًا محققًا، ورئيسًا قديرًا، ومعلمًا كفؤًا، ومربيًا ممتازًا. وكانت المدرسة كليةً تدرس فيها آداب العربية، واللغات الأجنبية، وبخاصة الفرنسية والتركية والفارسية، ثم الإيطالية والإنجليزية، وعلوم التاريخ، والجغرافية، والشريعة الإسلامية، والشرائع الأجنبية، فكانت أشبه شيء بكلية للآداب والحقوق مجتمعتين، وكان نهج المدرسة علميًّا ومفيدًا، فلم يكن دروسًا تكتب في دفاتر تهمل، بل يمرن الطلبة على الترجمة في كتب نافعة، فإذا استغلقت عليهم جملةً لجئوا إلى شيخهم يذللونها لهم، ثم عرضوا ما ترجموا على أستاذ اللغة العربية يصحح لهم لغتهم، وبخاصةً الشيخ محمد قطة العدوي؛ فقد كان ساعده الأيمن في هذه المدرسة، لما رُزِقَه من موهبةٍ جليلة في التدريس بلغة سهلة، وعبارةٍ فصيحةٍ، وقدرةٍ على تصحيح عبارات الطلبة فيما يترجمون، فإذا أتموا الكتاب، أو الكتب، رُوجِعَتْ، ثم قُدِّمَت إلى المطبعة لتطبع، فتكون أثرًا خالدًا[٢].

وأكبر دليل على ذلك قول أحمد عبيد -مترجم كتاب "الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر"-: "كانت تحت إرشاد مدير مدرسة الألسن السيد رفاعة، فأجاد تربيتي كغيري حتى حسن حالي، واجتهادي في نيل المعالي بين أمثالي، واقتضى رأيه المؤيد، وحزمه المعضد، أن أترجم كتابًا من كتب التاريخ؛ فاختار ملكًا من ملوك الإفرنج، تعلو همته على المريخ، وهو كتاب

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص١٤٦.

(٢) في الأدب الحديث ص٢٩-٣٠.

بطرس الأكبر، وفضله أشهر من أن يذكر، لمؤلفه الشهير المسمى: "فولتير" الذي يعد بين أكابرهم أعظم حجة، وإن كان عن الأديان بعيد المحجة، فجاء التعريب – بحمد الله – على أحسن حالٍ، وأتَمَّ منوالٍ، وقد شرعت في نقله من الفرنسية إلى العربية، مع إعانته لي في حل مشكلاته، وما عسر علَيَّ من غوامضه ومعضلاته، وقد صرفت في ترجمته– على صعوبته– الهمة، وسهرت في مطالعته وفهمه الليالي المدلهمة ... إلخ"(١).

وفي مدرسة الألسن كانت اللغة العربية مادة أساسية يمتحن فيها طلاب المدرسة، وكذا الشريعة الإسلامية، ثم أُنشئ في هذه المدرسة العريقة قسم للُّغة العربية وآدابها، منذ سنة ١٩٧٥م، وهو قسم عريق في نشأته، بنَّاء في منسوبيه وخرِّيجيه، منه أساتذة كبار حققوا كثيرًا من كتب التراث، ولهم جهود طيبة في التعريف بالتراث العربي، وما فيه من رؤى إيجابية؛ فالألسن مدرسةً ثم كليةً، لم تزاحم الأزهر أو تُعوِّق حركته أو تَضرّ مسيرته! كما أن الشيخ رفاعة لم يهدف إلى إحداث ما أسماه الشيخ شاكر **(الصدع المبين في ثقافة الأمة)؛ فالشيخ رفاعة ذاته ممتلك لثقافة الأمة كلَّ امتلاك، ومُطَّلع على ما عند الآخر ومُتضلِّع منه، هذا التعبير ينطبق فقط على من ثقافته غربية حداثية فقط، أما الشيخ رفاعة فهو مثال لصاحب الأصالة العربية المعاصرة، لصاحب الحداثة الراشدة، والأصالة المستحدثة!** كما أنه جعل مدرسي اللغة العربية في مدرسة الألسن نُخبةً من مشايخ الأزهر المُمتازين في معرفتهم وحبهم للقراءة والبحث والتنقيب. ذكر منهم الأستاذ علي مبارك: الشيخ الدمنهوري، والشيخ علي الفرغلي الأنصاري (ابن خال رفاعة)، والشيخ حسنين حريز الغمراوي، والشيخ محمد قطة العدوي، والشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوي، والشيخ عبد المنعم الجرجاوي، وحسن أفندي

(١) في الأدب الحديث ص٢٩-٣٠.

(باشخوجة المدرسة) [١]. وكلهم علماء أزهريون أصلاء نجباء نبغاء، لا يمكن أن يشك فيهم شاك!

إن الشيخ رفاعة لم يكن إمعة، ولم يكن ناقل ما عند الغرب فقط، بل كان ناقدًا، ومنتقيًا، ومغربلاً. يقول الدكتور محمود عمارة:" لقد ذهبت هذه البعثات المصرية لتنهل من العلوم العلمية، ولم تذهب لتتعلم ما يُشوِّه أو يزعزع تصوراتها الفلسفية وروحها الحضارية المؤمنة وقيمها الإسلامية المميزة[٢]"، وفي تراث الشيخ رفاعة ما يدل على نقد صريح لكتب الفلسفة، وأنها بأسرها محشوة بكثير من البدع، قال: ""وأما أغلب العلوم والفنون النظرية فإنها معروفة لهم غاية المعرفة، ولكن لهم بعض اعتقادات فلسفية، خارجة عن قانون العقل، بالنسبة لغيرهم من الأمم، غير أنهم يموهونها، ويقوونها، حتى يظهر للإنسان صدقها وصحتها، كما في علم الهيئة مثلًا، فإنهم محققون فيه وأعلم ممن عداهم بسبب معرفتهم بأسرار الآلات المعروفة من قديم الزمان، والمخترعة له. ومن المعلوم أن المعرفة بأسرار الآلات أقوى معين على الصناعات، غير أن لهم في العلوم الحكمية حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية، ويقيمون على ذلك أدلة يعسر على الإنسان ردها، وسيأتي لنا كثير من بدعهم، وننبه عليها في محالها إن شاء الله تعالى" [٣]"، وقال: "ليس لنا أن نعتمد ما يُحسِّنه العقل أو يُقبِّحه إلا إذا ورد الشرع

---

(١) راجع فصل(مدرسة الألسن) من كتاب: رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، جمال الدين الشيال، نقلا عن: تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص٣٢٧، د/عزت عبدالكريم.

(٢) نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، د/محمد عمارة، ص١٣٧، طبع دار الرشد سنة ١٩٩٦م..

(٣) تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص٢٥٥-٢٥٦، طبع الهيئة العامة سنة ١٩٩٣م.

بتحسينه أو تقبيحه[١]"، وهكذا فإن الشيخ رفاعة لا يعتمد في الحداثة إلا ما وافق التراث، ويحاول تمرير الحداثة عبر مفاهيم تراثية عتيقة...

التكامل في مؤلفاته:

على الرغم من كثرة المسؤوليات التي تحملها الشيخ رفاعة وأخذت من وقته الكثير، فإنه لم ينقطع عن الترجمة والتأليف فيما يعود بالنفع على الأمة، ولم يقض وقته إلا فيما فيه فائدة، وقد وصفه تلميذه النابه صالح مجدي بأنه "قليل النوم، كثير الانهماك على التأليف والتراجم[٢]".

وقد بدأ رفاعة نتاجه الفكري منذ أن كان مبعوثًا في فرنسا، وقد عد له صاحب كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع اثنين وعشرين كتابًا، وقد تنوعت بين كتب أدبية، وتاريخية، وقانونية، وجغرافية، وكتب في المنطق، والمعادن، والحكمة، وقد قام الدكتور محمد عمارة بجمع أعمال الشيخ في خمسة مجلدات، جعل المجلد الأول عن الأعمال الخاصة بمجال(التمدن والحضارة والعمران) وفيه تعريف مفصل بحياة رفاعة ورؤيته العميقة للحضارة والتمدن، ونظرته الجديدة للعلم والتربية والتعليم، بقلم المحقق الدكتور محمد عمارة، ثم كان كتاب(مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية) في أكثر من أربعمائة صفحة، وجعل الدكتور محمد عمارة المجلد الثاني عن الأعمال الخاصة بمجال(السياسة والوطنية والتربية)، وفيه كتابا(تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، و(المرشد الأمين للبنات والبنين)، وجعل الدكتور محمد عمارة المجلد الثالث عن الأعمال الخاصة بمجال(تاريخ مصر والعرب قبل الإسلام، ودار حول الجزء الأول من كتابه المعنون بـــ(أنوار توفيق الخليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل)، وجعل

(١) السابق، ص٤٦٦.

(٢) حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ص١٢، طبع سنة ١٩٥٨م.

الدكتور محمد عمارة المجلد الرابع عن (سيرة الرسول- صلى الله عليه وسلم- وتأسيس الدولة الإسلامية)،وفيه نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، وهو آخر كتاب ألفه الطهطاوي، وسلك فيه مسلكا جديدا في تأليف السيرة النبوية تبعه فيه المحدثون، وجعل الدكتور محمد عمارة المجلد الخامس عن (الدين واللغة والأدب)، وفيه كتب(القول السديد في الاجتهاد والتقليد، وبقاء الذكر باستخدام الفكر(في اسم الله المصور واتصافه به حقيقة واتصاف غيره به مجازًا)، ورسالة في البدع المتقررة في الشيع المتبربرة، والتحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية، وجمال الأجرومية، ومقدمة وطنية مصرية، ومملكة الجزائر، والنقحة المسكية في بركة الأزبكية، وأربع خطب عن التعليم، وتحايا وتهان للخديو، والكواكب النيرة في ليالي أفراح العزيزة المقمرة، ومقدمات عدد من كتبه، وتنبيه لكتاب روضة المدارس سنة ١٢٨٧هـ [١].

أما الكتب التي قام بترجمتها فهي تزيد عن خمسة وعشرين كتابًا، وذلك غير ما أشرف عليه من الترجمات وما راجعه وصححه وهذبه. ويعد كتاب «قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر» تأليف دبنح، باريس ١٨٢٦) أول كتاب يترجم من لغة أوروبية حديثة وينشر باللغة العربية، بالقاهرة سنة ١٨٣٣م. حقا كانت حياة الشيخ رفاعة كلها جهادا من أجل تطوير وطنه وتحديث أمته، يقول الدكتور جمال الدين الشيال: "حتى إنا لنحس – في جهوده التي ذكرها- أنه ما كان يفرغ من قراءة كتاب في أي علم من العلوم أو فن من الفنون حتى يقبل على ترجمته، يريد بذلك أن ينقل لمصر وبنيها هذا العلم الجديد؛ علَّه يبعثهم على نهضة جديدة، تنتهي بهم إلى

(١) هذه الأعمال الكاملة طبعت بتحقيق د/محمد عمارة في الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠١٠م.

أن يكونوا كأبناء أوربا حضاريًّا ورقيًّا[١]". فهو حقا من أركان النهضة المصرية والعربية الحديثة، له سهمة في إحياء تراثها، وتحديث حياتها وتنوير أحيائها!

* * *

(١) مقدمة الدكتور محمد عمارة للأعمال الكاملة١/٥٧، ورفاعة الطهطاوي لجمال الدين الشيال ص١٧.

المبحث الثاني

أدلة التكامل في المجال الأدبيّ[١]

ليس تجديد الأدب العربي خاصًّا بمرحلة ظهور المدارس الأدبية في مطلع القرن العشرين، من ديوان ومهجر وأبوللو وغيرها، بل إن بواكير التجديد وجدت في النصف الأول من القرن التاسعَ عشرَ، على يد الشيخ المصري الأزهري رفاعة رافع الطهطاوي(١٨٠١-١٨٧٣م) الذي عده الدارسون رائدًا في التنوير والتجديد للعالم العربي في بدء دخولنا العصر الحديث؛ لا سيما في المجال الأدبي؛ فالمؤرخ لحالة الأدب العربي قُبَيل العصر الحديث، يجد أنه قد أُصيب معظم الأدباء بتبلُّد الذهن، وجَدْب العاطفة، ونُضوب القرائح، وكساد البضاعة، فانزلقوا إلى دائرة ضيقة من التقليد الضعيف والتكلف الممجوج- شكلاً ومضمونًا- مما أنتج ضربًا من العبث الأدبي، والصياغة الزخرفية والسطحية، في نصوص خالية من أي معنى، ونائية عن أي روح، لا تُثير عاطفة ولا تنبِّه إحساسًا، ولا غَناء فيها إلا في القليل أو النادر الذي يجود به الزمن في أقسى أيامه وأشقى أحواله! إلى أن جاء شيخنا رفاعة الطهطاوي، بكل ما فيه نهضة وتحديث وتجديد في أجناس الأدب المختلفة، يقول عنه الأستاذ عمر الدسوقي:" **هو إمام النهضة العلمية في مصر الحديثة غير مدافع، وهبه الله لمصر كي يزوّدها بنور العلم؛ فكان مشعلًا ساطعًا بدّدَ الجهل وسُدْفَته، وأنار الطريق لآلاف العقول والقلوب، ووضع اللبناتِ الأولى القويةَ في صرح ثقافتنا الحديثة. أُوتِيَ**

---

(١) راجع مقالتي (ريادة الشيخ رفاعة الطهطاوي في تجديد الأدب العربي) المنشورة في مجلة الهلال، عدد، سنة ٢٠٢٣م.، ومقال د/ سيد علي (الأزهر والمسرح) المنشور في جريدة الجمهورية بتاريخ الأحد ٢١أغسطس سنة ٢٠١٦م، وراجع مقاله (جهود الطهطاوي المسرحية المجهولة)، المنشور في عدد الهلال أغسطس سنة ٢٠٢٣م..

القلب الذكي، والعقل الصافي، والنشاط الموفور، والبصيرة النفاذة، والعزيمة المبرمة؛ فما أضاع ساعةً منذ وضع رجليه على سُلّمِ الباخرة التي أقلته إلى فرنسا إلّا وأمامه الهدف الذي رسمه لنفسه ولوطنه، وظلّ هذا دأبه إلى أن انطفأ مشعل حياته"، وهو القائل مفتخرًا:

وآدابِي تُسامي بيَ الدراري على شعَثِي وتُبلغُني مُرادي

عِصامِيٌّ طريفُ المجدِ سَعْيًا عِظَامِيٌّ شَرِيفٌ بالتّلادِ

فقد عاصر شيخنا مجموعة من الأدباء المحافظين محافظة تقليدية خالصة؛ أمثال علي أبي النصر المنفلوطي(١٨١١- ١٨٨١م)، ومحمود صفوت، المعروف بالساعاتي(١٨٢٥-١٨٨١م)، وعبد الهادي نجا الإبياري (١٨٢١-١٨٨٨م)، وشهاب الدين الحُلواني (١٨٣٣-١٨٩١م)، وحسن ابن رضوان الحسيني الخالدي(١٨٢٢-١٨٩٣م)، وعلي بن حسن بن علي الليثي (١٨٣٠-١٨٩٦م)، ونجيب سليمان الحداد(١٨٦٧-١٨٩٩م)، ومحمد ابن عبد الجواد القاياتي (١٨٣٨-١٩٠٢)، وعبد المجيد شوقي الحسيني (١٨٥٠-١٩٠٦م)، ومحمد إمام العَبْد(١٨٦٢-١٩١١م)، وأحمد بن مفتاح العُمَاري (١٨٥٨ - ١٩١١)، وأمينة بنت محمد نجيب (١٨٨٧-١٩١٧م)، والشيخ حمزة فتح الله (١٨٤٩-١٩١٨م)، ومحمد إبراهيم بك هلال (١٨٨٥-١٩٣٢م)، وقسطنطين كفافيس (١٨٦٣-١٩٣٣م)، وتادْرُس وَهْبي بك الطهطاوي (١٨٥٦-١٩٣٤م)، و سلامة بن حسن الراضي الحسني الحسيني (١٨٦٧-١٩٣٩)، ، ومحمد حسين محمد الهَرّاوي(١٨٨٥-١٩٣٩م)، وعثمان بن زناتي بن سراج الحسني(١٨٦٣-١٩٤٠م)، ومراد فرج(١٨٦٧-١٩٥٦م)... وغيرهم.

كما عاش في زمن شيخنا رفاعة من تبعه في التجديد الأدبي، فكانت لهم مشاركة جزئية مبكرة في ذلكم التجديد، مثل تلميذه صالح مجدي بك(١٨٢٦-١٨٨١)، وعائشة التيمورية (١٨٤٠-١٩٠٢م)، إضافة إلى رائد مدرسة الإحياء والبعث للشعر العربي، الأستاذ محمود سامي البارودي (١٨٣٩-١٩٠٢م)، وإسماعيل صبري(١٨٥٤-١٩٢٣م)، ومحمد عبدالمطلب(١٨٧٠-

١٩٣١م)، والسيد توفيق البكري(١٨٧٠-١٩٣٢م)، وغيرهم، وفي النثر نجد التجديد عند الشيخ محمد عبده(١٨٤٩-١٩٠٥م) والأستاذ مصطفى صادق المنفلوطي (١٨٧٦-١٩٢٤م)، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠-١٩٣٧م)... وغيرهم؛ حيث نجد في تراث شيخنا رفاعة الأساليب الأدبية المرسلة المنطلقة، والرؤى الوطنية النهضوية في قوالب مقالية أدبية طريفة، وقصائد وطنية صادقة، وأناشيد حماسية، وجهادية ثائرة، معبرة عن الروح المصرية الوثَّابة؛ بسبب ما أتيح له من الثقافة الجديدة، وما أتيح له من الاتصال بحياة أكثر رحابةً وأعظم انفساحًا، وما عاناه من تغلغل الاحتلال الغشوم في مجريات الوطن والمواطنين واستنزافهم لمواردنا.

وبتدبر مجمل ما أثر عن شيخنا رفاعة الطهطاوي في المجال الأدبي يمكننا أن نحدد معالم التجديد عنده في الآتي:

١- التجديد في النثر الفني:

بدأ الشيخ رفاعة الطهطاوي إبداعه الأدبي ناثرًا متأثرًا في أدبه روح عصره، خاضعًا للتعمُّل، متكلفًا أعشاب البديع، متهافتًا على أصباغه، مقلدًا من سبقه من شيوخه، ثم انتقل بالأسلوب نقلة جديدة فصار سهل المفردات، سلس التعبير، مرسلاً، خاليًا من أية كُلَف ومبتعدًا عن الأغراض الحياتية الساذجة، فحمل زادًا فكريا عميقًا، وعبر عن تجارب إنسانية حية؛ بفعل مشاركته الفاعلة في تحرير جريدة الوقائع المصرية، وإدارة مجلة روضة المدارس وتحريرها، وبسبب اطلاعه على الأساليب الرائعة عند كبار الكتاب في العصر العباسي عن طريق مشروعه الخاصة بإحياء التراث العربي والإسلامي، حيث نجح في إقناع الحكومة بطبع عدة كتب من عيون التراث العربي على نفقتها، من خلال مطبعة بولاق، مثل: مقامات الحريري(ت٥١٦هـ)، وتفسير القرآن للفخر الرازي(ت نحو٦٠٦هـ) المعروف بمفاتيح الغيب، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص في البلاغة لعبدالرحيم العباسي(ت٩٦٣هـ)، وخزانة الأدب ولُبُّ لُباب لسان

العرب للبغدادي(ت١٠٩٣هـ)... وغير ذلك من الكتب التي كانت نادرة الوجود في ذلك الوقت.

ونجد الأسلوب السهل الممتنع في مؤلفات الشيخ رفاعة، ذلك الذي يشبه أجود أساليب الصحف اليومية منذ وجدت، فنتنسم منه روح الترسُّل والاطراد، ومن أبرز نماذج ذلك الأسلوب قوله في مقدمة كتابه "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية :" **قد تَحَقَّقَ في مصر اسمها بالمعنى المتعارف أكثر من غيرها؛ لمصير الناس إليها واجتماعهم فيها لمنافعهم ومكاسبهم، وما ذاك إلا لحسن موقعها العجيب الذي أَسْرَعَ في اتساع دائرة تَقَدُّمِهَا في التأنس الإنساني والعمران، وإحرازها أعلى درجة التمدن من قديم الزمان وعلى مَرِّ العصور وكَرِّ الدهور، انصَقَلَتْ في مرآة جوهرها صور أخلاق الخلائق، وتَهَذَّبَتْ طباعهم على التدريج وتشبَّثوا بثمرات العلوم والمعارف ووقفوا على الحقائق، وبمخالطة غيرهم من الأمم ذاقوا حلاوة الأخذ والعطاء وكثرة العلائق، وكما تَمَدْيَنُوا بصنائع العمران تَدَيَّنُوا بما اتخذوه من الأديان، وكان يُعْرَف خواصهم وحكماؤهم في الباطن بوحدة الملك الديان**". وهذا الأسلوب ديدنه في بقية كتبه؛ وإن قلنا: إن نثر الشيخ رفاعة التأليفي محطة بارزة في تطور الأسلوب العربي، في العصر الحديث، لم نكن مبالغين! هذا إضافة إلى كتابه الفذ(تخليص الإبريز في تلخيص باريز [الذي طبع أول مرة سنة ١٨٣٤م])، والذي يعد أول أنموذج لأدب الرحلة في العصر الحديث؛ فقد وصف بأسلوبه المسترسل كثيرًا من انطباعاته ومشاهداته، كما نقل عديدًا من المعارف والنظم، والقوانين التي أعجب بها في فرنسا، وهو أنموذج أول لفن السيرة الذاتية أيضًا، والكتاب دليل أدبي على جرأة مثقف مصري أزهري في وصف قيم ديمقراطية، وأنظمة دستورية، غربية، أُعجب بها وأعلن عنها في عصر محافظ شديد المحافظة! وكذا نجد للشيخ دورًا في تجديد كتابة السيرة النبوية بكتابه

الختامي(نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز)؛ إذ استخدم المنهج العقلي في تحليل وقائع هذه السيرة العطرة، وفيه رد على الصورة المشوهة التي رسمها الكتاب الغربيون عن الإسلام...

٢- إدخال فن القصة في الأدب العربي:

للشيخ رفاعة عمل قصصي رائد هو ترجمته (مغامرات تليماك Les Aventures de Tedlemaque)، التي كتبها القس الفرنسي (فينيلون Fenellone)، وقد سمى رفاعة الترجمة" مواقع الأفلاك في وقائع تليماك" [طُبِعت أول مرة سنة ١٨٦٧م]، ولعل الأدب العربي الحديث لم يعرف ترجمة لرواية فرنسية قبل ترجمة رفاعة تلك الرواية، التي تعد- في نظر مُؤَرِّخي تطور الفن القصصي عند العرب- أول مظهر من مظاهر النشاط الروائي في مصر، خلال العصر الحديث، ولقد أراد شيخنا رفاعة أن يوجه أذهان الناشئة إلى أهمية القصة في الأدب، وأنها لونٌ من ألوانه، لم يعبأ به العرب من قبل، وأنها ستكون جليلة الشأن في التربية. يقول في مقدمة كتابه هذا:" **إن تعريب تليماك، بكل من في حماك، أو ليس إنه مشتمل على الحكايات النفائس، وفي ممالك أوربا وغيرها عليه مدار التعليم في المكاتب والمدارس، فإنه دون كل كتاب، مشحون بأركان الآداب، ومشتمل على ما به كسب أخلاق النفوس الملكية، وتدبير السياسات الملكية**"، ثم إن هذه الترجمة تشتمل على فكر سياسي إيجابي، حيث الدعوة المُحبَّبة للمصريين إلى التآزر والاتحاد للمقاومة والخلاص من الاستعمار وأذياله، وتقديم بعض قيم الديمقراطية، ومبادئ الحرية؛ فقد ذكر رفاعة أنه قصد بترجمة تليماك: "إسداء نصائح إلى الملوك والحكام، وتقديم مواعظ لتحسين سلوك عامة الناس"، ولكن يلاحظ بوضوح أنه اختار هذه الرواية بالذات لكونها أنسب الأعمال لحاله، وموقف الخديوي عباس منه، حين اضطهده ونفاه إلى السودان، يقول: "**الملك هو وليُّ الأمر في الرعية، يأمر وينهى، وأحكامُ**

المملكة وقوانينُها تجري عليه.. وإذا أساء الاستعمال تُغلُّ يده؛ فإن الأهالي سلمته الشرائع وديعةً بشرط أن يكون أبًا للرعايا بموافقتها" (انظر: وقائع تليماك ص٦٦)، وفي موضع ثان يقول: " **فالحكمة الإلهية التي أوجدت البرية من العدم. تحب أن تكون بينهم رباطة تربطهم بالاتفاق والاتحاد، وأن يكونوا إخوانًا؛ فإن جميع البشر أبناء رجل واحد، انتشروا في جميع جهات الأرض،... فويل لأهل الجحود الذين يتطلَّبون الفخار بسفك الدماء**"(وقائع تليماك ص١٩٧). وفي ذلك ما فيه من دعوة إلى التجميع، وتعريض بالطغاة. و نلاحظ أهمية أخرى لهذه الترجمة، وهي أن لغته أسلس وأقرب إلى الجمال المطبوع من لغة تخليص الإبريز؛ وذلك لتقدم أسلوب شيخنا رفاعة في الفترة التي بين الكتابين، ومن هنا يعد الكتاب خطوةً في سبيل تحسين النثر العربي وتطويره. وأخيرًا هناك ظاهرة جديرة بالتسجيل تتعلق بالأدب في تلك الحقبة، وهي الالتفات من بعض الكتاب إلى موضوع المفهوم الحديث العميق للوطن والوطنية والمواطنة، ومن ثم يعد هذا الكتاب حجر الأساس في الأدب المصري القومي في العصر الحديث، كما يرى الأستاذ عمر الدسوقي.

٣- التجديد في فن المسرح:

اهتم الشيخ رفاعة بفن المسرح اهتمامًا مبكرًا وواعيًا؛ انطلاقًا من إيمانه بأن فن المسرح يصلح الشعوب؛ فكان صاحب أول موضوع مسرحي متكامل، مطبوع باللغة العربية، في عالمنا العربي-**كما يقرر الدكتور سيد علي، المُؤَرِّخ الأول لفن المسرح في عالمنا العربي**- والمنشور في مصر سنة ١٨٣٣م، وهو ترجمته كتاب (ديوان قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر) للمؤلف الفرنسي (ديبنجDepping) ، والذي عرّفنا فيه – ولأول مرة – معنى المسرح من خلال شرحه – وليس ترجمته – لكلمة (سبكتاكل) – والمقصود بها المسرح باللغة الفرنسية – قائلاً عنها: "... اسم لمَلْعَبَةٍ ببلاد الإفرنج، يُلعَب فيها تقليدُ سائرِ ما وقع. وفي الحقيقة إن هذه

الألعاب هي جِدٌّ في صورة هَزْل؛ فإن الإنسان يأخذ منها عِبَرًا ... إلخ". أما الجزء الخاص بتاريخ المسرح العالمي الموجود في الكتاب نفسه، وقام الطهطاوي بترجمته، فكان أول تأريخ للمسرح العالمي باللغة العربية!! ولم يكتف الشيخ الأزهري رفاعة الطهطاوي بذلك، بل نشر كتابه المؤلف (الديوان النفيس بإيوان باريس)، المشهور باسم (تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز)، وضمّنه تفاصيل مشاهداته للمسرح الفرنسي، الموجودة في الكتاب تحت عنوان (متنزهات مدينة باريس)، عام ١٨٣٥م. ولم يكتف الشيخ الأزهري رفاعة الطهطاوي بذلك أيضًا، بل كان أول من نشر باللغة العربية ترجمة نص مسرحي كامل من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، ونشره في مصر عام ١٨٦٨م؛ **ليكون أول نص مسرحي منشور باللغة العربية في تاريخ مصر بأكملها، وفي تاريخ المسرح العربي كله، وهو نص مسرحية (هيلانة الجميلة)**" لكل من "هنري ميلهاك ولدوفك هاليفري"...

٤- التجديد في فن الشعر:

لم يكن شيخنا رفاعة بالشاعر الفحل، ولم يكن يفتخر به، ويعده من بضاعته الجيدة، يقول:

وما نَظْمُ القَريضِ برأسِ مالي ولا سَنَدي أراه ولا سِنادي

ولكنه سخر موهبة الشعر لبث بعض آماله وآهاته عن طريقها، فكانت له تباشير في الشعر الجديد، في المضمون حيث نجد في ديوانه المديح النبوي، والشعر الوطني، والشعر التربوي، والشعر الذاتي، والشعر الوصفي للمظاهر الحضارية الجديدة، والشعر التعليمي. وفي مجال شكل الشعر نجد له الأراجيز، والموشحات، والأناشيد، والأوزان القصار، وفي بعض تجارب شيخنا الشعرية تلوين موسيقي في الوزن والقافية، يجعله من رادة التجديد في موسيقى الشعربي العربي. ويتميز شعر شيخنا ونثره بعاطفته الوطنية الصادقة الحارة، وكان يتقد وطنيةً وغيرةً على بلاده، حيث مدحُ مصر

والفخرُ بها، وتفضيل مصر، ومدح جيش مصر، و ونظم قصائد سجلت انتصارات الجيش الوطني ضد الأتراك و الأوروبيين، ومدح آثار مصر، والحنين إلى مصر وقت غربته، والدعوة إلى الجهاد والمقاومة والأخذ بأسباب القوة العسكرية لأجل الحفاظ على تراب الوطن ومقدراته، والحث على افتدائه، وبذل كل شيء في سبيله، وهو صاحب أول تجربة لنشيد وطني؛ متأثرًا في ذلك بترجمته نشيد المارسيلييز، نشيد الثورة الفرنسية المعروف!

ومن جميل شعر رفاعة الوطني قوله:

ولَئِنْ حلفتُ بأنَّ مِصرَ لَجَنَّةٌ وقطوفُها للفائزينَ دَوَاني

والنيلُ كوثرُها الشهيُّ شرابُه لَأبَرُّ كلَّ البِرِّ في أيماني

ومن نماذج فن الأناشيد الحماسية قوله:

يا أيها الجنودْ والقادة الأسودْ

إن أَمَّكم حَسُودٌ يعودُ هامي المدمعِ

فكم لكم حُروبٌ بنصرِكم تؤوبْ

لم تُثنِكم خُطوبٌ ولا اقتحامُ مَعْمعِ

وكم شهدُتم مِن وغًى وكم هزمتُم مَن بَغى

فمَن تعدَّى وطغى على حِماكم يُصرعِ

ومن شعره المُمَجِّد لجيش مصر قوله من موشحة نشيدية:

يا حِزْبنا قُمْ بنا نسودْ

فنحنُ في حَرْبِنا أسودْ

عندَ اللِّقا بأسُنا شديدْ

هامُ عِدانا لنا حَصيدْ

حامي حِمَى مِصرِنا سعيد

في عصرِه مجدُنا يعودْ

بجندِه المجنَّدِ وسيفِه المُهنَّدِ

ونصرِه المُؤيَّدِ وعزِّه المُشيَّدِ

في عصرِه مجدُنا يعودْ

فالشاعر فضلًا عن تلوينه للقوافي في هذا النشيد، قد استخدم بحرين، إذ استخدم مخلع البسيط في الأشطر الطوال، واستخدم مجزوء الرجز في الأشطر القصار، وهذا ما لم يجرؤ عليه إلا أئمة التجديد من الوَشَّاحين أنفسِهم، كما يقول الدكتور أحمد هيكل في كتابه "تطور الأدب الحديث في مصر". **وأرى أن ديوانه ما زال محتاجًا إلى إعادة جمع وتحقيق! وأن جهد جامعة الأول د.طه وادي يمكن أن يستدرك، ويمكن أن يضاف إليه الكثير من الأشعار، لو تمكن باحث من الاطلاع على مخطوطات شيخنا رفاعة، ومن الاطلاع على الصحف والمجلات التي كان ينشر فيها أشعاره وإبداعات الأدبية المتنوعة!**

٥- ترجمة الأدب الغربي:

لشيخنا الطهطاوي سُهمة باكرة في إطلاع المثقف العربي على نماذج من الأدب الفرنسي؛ فقد ترجم أكثر من خمسة وعشرين كتابًا، في مجالات علمية متنوعة، وكان كتاب «قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر» تأليف دبنح (باريس ١٨٢٦م)، وهو أول كتاب يُترجَم من لغة أوروبية حديثة، وينشر باللغة العربية عام ١٨٣٣م، وقد جعله على قسمين: الأوّل في أخلاق أهل بلاد أوروبا، ترجمها عن كتاب العلامة دبينغ في عوائد الأمم وأخلاقها، والثانى معجم الاصطلاحات الجغرافية والتاريخية أخذه عن

الفرنساوية. ويرى الدكتور طه وادي أن شيخنا الطهطاوي رائد في ترجمة الشعر شعرًا؛ فهذا مجال لم يَكتب فيه أحد قبله، فترجم قصائد فرنسية في المدح، وقصائد من حصاد الثورة الفرنسية، مثل القصيدة الباريسية، ونشيد المارسيليز، الذي ألفه "روجيه دي لوارل"، والذي مطلعه:

فهيّا يا بني الأوطانِ هَيَّا فوقتُ فَخَارِكم لكمُ تَهَيَّا

أَقِيموا الرايةَ العُظمَى سَوِيًّا وشُنُّوا غارةَ الهَيْجا مَلِيًّا

ولشيخنا (نظم العقود في كسر العود)، وهي قصيدة طُبِعت في باريس ١٨٢٧م، وهى معرّبة عن شعر نظمه العلّامة يوسف أغوب، يدور حول مقدمة غزلية، ثم حنين إلى مصر وتفاخر بها، ومدح لها، هذا إضافة إلى كتابه (مواقع الأفلاك في أخبار تليماك)، السابق ذكره...

وهكذا نرى شيخنا رفاعة الطهطاوي-رحمه الله، ورضي الله عنه- قد حمل لواء النهضة الجديدة في الأدب العربي، فجدد في أسلوبه وأجناسه وأغراضه، وكانت له تجارب إبداعية أولى في فنون حديثة، مثل: السيرة الذاتية، وأدب الرحلة، والرواية، والمسرح، والنشيد الوطني، وترجمة الشعرِ شعرًا، والتجديد في موسيقى الشعر العربي وزنيًّا وقافويًّا!

* * *

الخاتمة

وفي (ختام هذا البحث) نرى ونلحظ – عبر هذه السياحة الفكرية في سيرة الشيخ رفاعة الطهطاوي وآثاره– أنه شخصية مصرية صعيدية أزهرية مخلصة مجاهدة، مُعمرة، تكاملت فيها المكونات الحياتية والمواهب العقلية بطريقة خاصة؛ فقد أُوتِيَ القلب الذكي، والعقل الصافي، والنشاط الموفور، والبصيرة النفاذة، والعزيمة المبرمة، ورزق بالشيوخ النبهاء المُؤَصِّلين، وبالحياة العسكرية الجادة، وبالبعثة الباريسية المطورة؛ فما أضاع ساعةً منذ وضع رجليه على سُلَّمِ الباخرة التي أقلته إلى فرنسا إلّا وأمامه الهدف الذي رسمه لنفسه ولوطنه، وظلَّ هذا دأبه إلى أن انطفأ مشعل حياته.

وإن له لأوليات ظاهرة في تنوير العقل العربي في العصر الحديث، فقهيًّا، و علميًّا، وأدبيًّا، وتاريخيًّا، ووطنيًّا! فقد كان سبب إحياء كنوز من التراث العربي، وكان سبب نقل كثير من علوم الغرب النافعة، وآدابه المهمة عن طريق الترجمة، ومدرسة الألسن، وكان سبب محو أمية الشعب، وسببًا في حماية الآثار، وعرف بالدستور وأهميته ودعا إليه، وكان سبب تثقيف الشعب عن طريق مجلة روضة المدارس، وهو أول من دعا إلى تعليم النساء، وتثقيفها وصيانة حقوقها، ورأى أن ذلك مما يزيدهن أدبًا وعقلًا، ويجعلهن بالمعارف أهلًا، ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي، فيعظمن في قلوبهم، ويعظم مقامهن، وفي المجال الأدبي يعد شيخنا الطهطاوي أول من ترجم كتابًا في أدب المغامرات والرمز والوعظ وتربية الملوك في «مواقع الأفلاك في مغامرات تليماك»، وأول من كتب شعرًا وطنيًّا، ونشيدًا وطنيًّا، وأول من ترجم مسرحية، وأول من وظائف الجداول في تعليم قواعد النحو، وهو أول من أنشأ مدرسة متخصصة لتعليم اللغات الأجنبية (الألسن) وأشرف عليها وأعد كوادرها، وهو أول من ألف كتابًا في

السيرة النبوية بالمعنى الحديث والعصري، وأول من ألف كتابا في السياسة والتربية والاجتماع، وهو أول واعٍ وعيًّا مبكرًا جدًّا بقيمة الوطن، ومعنى الوطنية، وأول داع إلى المواطنة، تقوم عليها الدول الحديثة في العالم، والذي عبر عنه الطهطاوي أو ما سمّاه الطهطاوي «المنافع العمومية» التي تقوم على الحرية والإخاء والمساواة بين أبناء الوطن الواحد... ومن ثم وصفه مترجموه – وصدقوا كلَّ صِدق– بأنه إمام النهضة العلمية والحضارية في مصر الحديثة غير مُدافَع؛ فقد وهبه الله لمصرنا؛ كي يزوّدها بنور العلم؛ فكان مشعلًا ساطعًا بدَّدَ الجهل وسُدْفَته، وأنار الطريق لآلاف العقول والقلوب، ووضع اللبنات الأولى القوية في صرح ثقافتنا الحديثة الأصيلة الراسخة. **رحمه الله رحمة واسعة، ورضي الله عنه وأرضاه!**

قائمة بأهم مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر:

- (الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي)، إعداد الدكتور محمد عمارة، طبع الهيئة العامة سنة ٢٠١٠م.
- (أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل)، رفاعة الطهطاوي، طبع بولاق سنة ١٨٦٨م.
- (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، رفاعة الطهطاوي، طبع سنة ١٨٣٤م، وطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب بتقديم وتحقيق ودراسة د/محمود فهمي حجازي، سنة ١٩٧٥م.
- (تعريب القانون المدني الفرنساوي)، طبع بولاق سنة ١٢٩٣هـ.
- (التعريبات الشافية لمريد الجغرافية)، رفاعة الطهطاوي، طبع المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٨٣٤م.
- (ديوان رفاعة الطهطاوي)، جمع ودراسة الدكتور طه وادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
- (قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر)، رفاعة الطهطاوي، طبع المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٨٣٣م.
- (المرشد الأمين للبنات والبنين)، رفاعة الطهطاوي، طبع المدارس الملكية بالقاهرة سنة ١٨٧٥م، وهو مطبوع، ضمن الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي،(٢/٤٧٣-٤٧٧)، إعداد الدكتور محمد عمارة.
- (مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية)، وهو مطبوع، ضمن الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، (١/٣١٩)، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة، طبع المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.وله طبعة بتقديم أ/حلمي النمنم، ودراسة

د/مصطفى لبيب، في الهيئة العامة سنة ٢٠١٠م.
- (مواقع الأفلاك في وقائع تلمياك)، رفاعة الطهطاوي، المطبعة السورية بيروت سنة ١٨٦٧م.
- (نظم العقود في كسر العود)، رفاعة الطهطاوي، طبع باريس سنة ١٢٤٢هـ=١٨٢٧م.
- (نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز)، رفاعة الطهطاوي، طبع بالقاهرة سنة ١٢٩١هـ.

ثانيًا: المراجع:

- (الأدب العربي المعاصر في مصر)، د/شوقي ضيف، طبع دار المعارف، سنة ١٩٦١م.
- (الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة)، د/محمد كامل الفقي، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف، سنة ١٩٥٦م.
- (الأعلام) للزركلي، طبع دار العلم للملايين سنة ٢٠٠٢م.
- (تاريخ آداب اللغة العربية)، جورجي زيدان، مطبعة الهلال سنة ١٩١٤م.
- (تاريخ الصحافة المصرية: دراسة تاريخية معاصرة)، د. عواطف عبدالرحمن، د. نجوى كامل، طبع سنة ٢٠٢٠م
- (تطور الأدب الحديث في مصر)، د/أحمد هيكل، طبع دار المعارف سنة ١٩٩٤م.
- (حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر)، جاك تامر، طبع سنة ٢٠٢٢م.
- (دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية)، د/هاني السباعي، طبع مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن سنة ٢٠٠١م.
- (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا)، الشيخ محمود شاكر، طبع شركة القدس بالقاهرة سنة ١٩٨٩م.

- (رفاعة رافع الطهطاوي)، جمال الدين الشيال، دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٠م.
- (رفاعة الطهطاوي)، أحمد أحمد بدوي، طبع لجنة البيان العربي، سنة ١٩٥٩م.
- (رفاعة الطهطاوي: رائد فكر وإمام نهضة)، حسين فوزي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة، بدون تاريخ.
- (رفاعة الطهطاوي: رائد التنوير في العصر الحديث)، محمد عمارة، دار المستقبل العربي – القاهرة – ١٩٨٤م.
- (ظاهرة التعريب عند الطهطاوي، تأصيل ما ورد في مناهج الألباب من الدخيل)، د/مصطفى لبيب عبدالغني، في ذيل طبعة الهيئة المصرية العامة لكتاب "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية"، طبع الهيئة العامة سنة ٢٠١٠م.
- (فهرس مخطوطات مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي)، د. يوسف زيدان، سنة ١٩٩٦م.
- (في الأدب الحديث)، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٦٦م.
- (المدخل إلى فن التحرير الصحفي)، د. عبداللطيف حمزة، ص٤٣٥، طبع وكالة الصحافة سنة ٢٠٢٠م.
- (المقال وتطوره في الأدب المعاصر في مصر)، د/السيد مرسي أبوذكري، طبع دار المعارف، سنة ١٩٨١م.
- (ندوة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي)، مجموعة من الباحثين، كلية الألسن – القاهرة ١٩٨٤م.
- (نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام)، د/محمد عمارة، طبع دار الرشد

سنة ١٩٩٦م..

- (مناهج الألباب ومساعي التمدن)، تقديم أ/حلمي النمنم لكتاب مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، طبع الهيئة المصرية العامة سنة ٢٠١٠م. .

المقالات في المجلات والصحف:

- (الأزهر والمسرح)، د/سيد علي، منشور في جريدة الجمهورية بتاريخ الأحد ٢١أغسطس سنة ٢٠١٦م.
- (أزهري في باريس جابر عصفور)، الأهرام، عدد(٤٨٥٧٠)، بتاريخ الجمعة ٢٩ فبراير سنة ٢٠١٩م.
- (أسطورة رفاعة الطهطاوي)، عبدالمحسن سلامة، مقال في جريدة الأهرام، بتاريخ ١٩ فبراير، سنة ٢٠٢١م.
- (بين تمصير الصحف والدفاع عن الآثار)، مقال منشور في بوابة الأهرام للكاتب محمود الدسوقي بتاريخ ٢٠٢٢/٥/٢٧م.
- (تلك الأيام، أسطورة رفاعة الطهطاوي)، محسن عبد العزيز، الجمعة 7 من رجب ١٤٤٢ هـــ ١٩ فبراير ٢٠٢١ السنة ١٤٥ العدد ٤٩٠١٨.
- (جهود الطهطاوي المسرحية المجهولة)، د/سيد علي، المنشور في عدد الهلال أغسطس سنة ٢٠٢٣م..
- (دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية)، د/هاني السباعي، على الرابط:-https://myportail.com/actualites-news-web-2-0.php?id=1865
- (رفاعة الطهطاوي بين الأزهر وباريس)، أحمد تمام، على موقع إسلام أون لاين.
- (رفاعة الطهطاوي: رائد التنوير ومشروعه النهضوي)، أ.د/ طارق منصور، بوابة الهلال بتاريخ ٢٠٢٣/٨/١٠م.

- (ريادة الشيخ رفاعة الطهطاوي في تجديد الأدب العربي)، د. صبري فوزي أبو حسين، منشور في مجلة الهلال، عدد أغسطس، سنة ٢٠٢٣م.
- (الفكر التربوي عند الشيخ رفاعة الطهطاوي)، د/سارة عبدالخالق محرم، في موقع مجلة الهلال بتاريخ ٨/١١/ ٢٠٢٣م.
- (كيف استطاع الطهطاوي الأزهري أن يتعلم الفرنسية ويتجاوز الصدمة الثقافية الغربية ويبهر أهل المعرفة؟)، للكاتب مصطفى جودة، الأهرام المسائي، ٢٠١٦/١١/١٢م.
- (مفهوم الدستور وتطوراته في مصر الحديثة)، أ. د/صبري فوزي أبو حسين، منشور في مجلة الهلال، عدد شهر إبريل، سنة ٢٠٢٣م.
- مجلة المشرق مج١١، طبع سنة ١٩٠٨م.

مواقع إلكترونية:

- موقع جريدة الأهرام:

https://gate.ahram.org.eg/daily/News/

- موقع مجلة الهلال:

https://darelhilal.com/News/1878293.aspx -

- موقع إسلام أون لاين https://islamonline.net/archive/%

- موقع الحوار المتمدن، /https://m.ahewar.org

- https://myportail.com/actualites-news-web-2-

0.php?id=1865

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٦٢٣
التمهيد	٦٢٦
المبحث الأول: أدلة التكامل المعرفي في جهود الشيخ العلمية والتعليمية	٦٣٥
المبحث الثاني: أدلة التكامل في المجال الأدبي	٦٥١
الخاتمة	٦٦١
المصادر والمراجع	٦٦٣
فهرس الموضوعات	٦٦٨